من الانفصام في الرؤية جعل الصراع في المشاعر، والتناقض الحاد في السلوك، محوراً رئيساً تحددت من خلاله السمة الرئيسة لتلك الشخصية، وهي عقدة التناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية والاضطهاد». ومرد ذلك الى الديانة اليهودية ذاتها. ففي سفر الخروج اشارات متعددة الى اذلال اليهود واضطهادهم في مصر، وفي الديانة ذاتها تميزهم بأنهم «شعب الله المختار».

ان عقدة التناقض هذه قد خلقت لدى اليهود كراهية الاغيار، وجاءت ردة الفعل من الاغيار كراهية اليهود واضطهادهم، وهذا ما اصطلحوا على تسميته باللاسامية. ان اليهود يتحملون تبعة المسؤولية عن الاضطهاد الذي لحق بهم لأنه كان ردات فعل. ولقد افادوا من هذه الكراهية لهم في تألبهم وظهور الصهيونية فيما بينهم وامست اللاسامية سلاحاً يشهرونه في وجه كل شاجب لعدوانهم.

يدور الفصل الثاني حول فشل حركة التنوير اليهودية، وبروز الانعزالية الصهيونية. فمع ظهور حركة التنوير الاوروبية التي دعت الى محاربة الاستبداد، وتحرر العقل، تقلص دور المعبد اليهودي نسبياً. ولقد اتصف موقف دعاة التنوير الاوروبي من اليهود بالسلبية، اذ اعتبرهم هؤلاء الدعاة انهم «شعب جاهل ومتوحش، زاول، لمدة طويلة، أخس انواع البخل، وابغض انواع الخرافات، ويحمل كراهية، لا تعادلها كراهية، لكافة الشعوب التي تسامحت معه، وكانت سبباً في ثرائه».

وبسبب ظلال التلمود، والمعابد اليهودية، والعزلة، لم تجد حركة التنوير في الاوساط اليهودية في شرق اوروبا نجاحاً، على الرغم من نجاحها النسبي في غرب اوروبا. لقد خشي اليهود، في شرق اوروبا، من ان تؤدي حركة التنوير الى الاندماج، «وشكلت الصهيونية الوجه المعبر عن هذا الخوف من الامتصاص»، لا سيما بعد ازدياد موجة العداء لليهود، اثر اغتيال القيصر الكسندر الثاني واتهام احد اليهود بالجريمة. وعلى هذا الاساس، بدأت كفة الاتجاه الصهيوني ترجح على كفة حركة التنوير اليهودية، وبدت سمات الاتجاه اليهودي الصهيوني في مواقف عدة، منها التمرد على اليهودية التقليدية والانجراف نحو العلمانية. ومع تبني الصهيونية للدين، اصبحت المشكلة الملحة هي مسألة مكان عمل منتج من اجل اليهود هي المشكلة الاكثر الحاحاً من الطقوس. وبذلك تمكنت الحركة الصهيونية من احتواء التيارات الاصلاحية والتحررية التي انتشرت في صفوف اليهود، في اواخر القرن التاسع عشر، ولكنها، على الرغم من العلمانية الظاهرة، «استندت في برنامجها السياسي والثقافي الى الاساطير القديمة، خاصة اسطورة العودة والشعب المختار». ومن سمات الاتجاه الصهيوني هذا محاربة الاندماج مع الاغيار الذين يكرهون اليهود، لان الاندماج يعني العبودية، فلا بد من الحفاظ على قومية يهودية مميزة تتخذ العنف والانتقام هدفاً وغاية للبقاء بين الاعداء، والتحرر من عبوديتهم، والتخلف من كراهيتهم.

في الفصل الثالث، يعالج المؤلف الظروف التي اتاحت المجال لنشأة «الشخصية اليهودية الاسرائيلية»، ويرد ذلك الى عاملين: الاول هو التخوف من فقدان الذاتية اليهودية بفعل الاندماج، والثاني العداء والاضطهاد لليهود في شرق اوروبا. غير ان التحرك الصهيوني بقي محدوداً اول نشأته وانشطر اليهود بين مؤيد للحركة الصهيونية وبين معارض لها. غير ان ظروفاً مستجدة في غرب اوروبا، كان آخرها محاكمة «درايفوس»، اليهودي الفرنسي، بتهمة الخيانة جعلت تيار المؤيدين للحركة يتزايد. ومع ظهور هرتسل على مسرح الاحداث، تبلورت الايديولوجية الصهيونية وبرنامجها العملي لاقامة «الوطن القومي» بمعونة دولة عظمى. وابصر هذا التوجه النور باصدار وعد بلفور العام ١٩١٧، وبقيام الانتداب البريطاني على فلسطين الذي مهد لوجود اسرائيل، التي اصبح اليهود فيها يتكونون من اليهود الشرقيين (السفاراديم) ويهود الغرب (الاشكنازيم) والجيل المولود في فلسطين (الصباريم)، واصبح لكل مجموعة شخصيتها المميزة. على ان «الصباريم» يُعتَبرون «الانبياء الحقيقيين والورثة الشرعيين والامتداد الحضاري، بكل ما تعنية هذه الكلمة، بالنسبة الى الاشكنازيم، والصفوة الاسرائيلية».

يعدد المؤلف، في الفصل الرابع، السمات الاساسية للشخصية اليهودية الاسرائيلية الاشكنازية والصبارية، فيرى انها تتميز بالامور الآتية:

١ ـ الاحساس بالوطنية الاسرائيلية: فالصباريم لم يرتبطوا، ايديولوجياً، باسرائيل لكونهم ولدوا فيها، وان ارتباطهم العاطفي باليهود خارج اسرائيل اقل من ارتباطات المهاجرين اليها، وان الاسرائيلي الذي ولد في فلسطين او اسرائيل لا يعبر عن قيم الشخص الذي هاجر اليها.